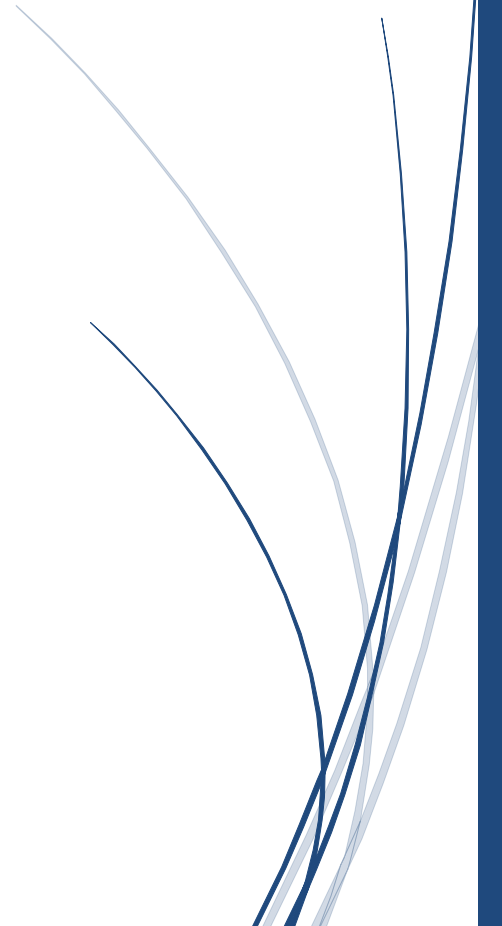


سلسلتہ لقاءات التفسیر لشهر
رمضان المبارک من
عام ۱۴۳۶ھ

اللقاء السادس عشر: سورة الأنبياء (۷۸-۸۲)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

<http://tafaregdros.blogspot.com>

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في

شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

<http://www.muslimat.net>

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر

لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله عز وجل حمداً كثيراً طيباً مباركاً ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا اللهم آمين.

نتدارس في جلستنا هذه آيات من سورة الأنبياء، وهذه السورة العظيمة ذكر فيها ستة عشر نبياً من أنبياء الله كلهم لهم من الأفضال ما لهم ومن المنزلة ما لهم عند رب العالمين، وهم يتفاضلون بعضهم على بعض ويجتمعون في النبوة ويختلفون في الرسالة وفي المنازل عند رب العالمين.

وهذه الأخبار عن الأنبياء تزيد العبد إيماناً بالله وإيماناً بما سيكون عليه الحال يوم القيامة فإن أهل الإيمان على يقين أنهم مع نبيهم شهداء على الأمم أن أنبياءهم قد بلغت، وفي الحديث ((يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عَلِمْتُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِينَا بِذَلِكَ أَنَّ الرَّسُلَ قَدْ بَلَغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143])¹، والحديث عند الإمام أحمد رحمه الله.

المقصود أننا في مجلسنا هذا وفي كل مجلس نذكر فيه رسل الله وأنبياء الله أحد أهم مقاصدنا أن نحقق هذه الصفة، أن نستعد للشهادة؛ لأننا نُسأل لما نشهد ما علمكم؟ يعني من أين لكم أن تشهدوا وأنتم لم تحضروا، فاستعدادا لهذا نتعلم لأن المؤمنين في هذا الموقف يقولون أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه، فكل خبر أتى عن الرسل في الكتاب أو في صحيح السنة تتأمله ونقلبه ونستفيد منه وننتفع وأهم من نفع أن نستعد لهذا الموقف اليقيني الذي لا بد أن يكون مع نبينا صلى الله عليه وسلم.

فنرجو أن نكون من أهل الإيمان الذين يقفون هذا الموقف ويشهدون مع نبيهم في تبليغ الرسالة وأداء الأمانة لكل الرسل.

واخترنا اليوم في مدارسنا الكلام حول نبيان من أنبياء بني إسرائيل وهما داود وسليمان.

وهذه القصة مشهورة فيها من الدروس ما فيها نقف على تفاصيلها ثم في أثناء الكلام عن تفاصيلها نتكلم حول دروسها. يقول الله عز وجل: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ}، وهذا شروع في تعداد جمع من الأنبياء الذين لم يكونوا رسلاً، ذكر قبل هذا الموطن ذكر نوح وموسى وإبراهيم وهارون صلى الله عليهم جميعاً، وكانوا رسل بل من أولي العزم من الرسل، ثم ذكر الأنبياء وذكر لكل

¹ سنن ابن ماجه، صحيح.



نبي ما اشتهر به من نعم الله عليه، وقد سبق هذا أن الله عز وجل ذكر ما تفضّل به على موسى وهارون من إيتاء الكتاب، ثم أتى مرة أخرى خبر عن بني إسرائيل وأن الله تفضّل عليهم بهذه الأفضال التي تسمعها عن دواود وسليمان. ودواود عليه السلام أول من جمعت له النبوة والملك في أنبياء بني إسرائيل، وقد بلغ بني إسرائيل في مدته مبلغاً عظيماً في القوة والبأس وإخضاع العدو، وأوتي داود عليه السلام وسليمان حكمة وفصل للخطاب، وأوتي سليمان أيضاً كما أوتي داود علم في الصنائع والإبداع فيها، فهكذا حصلت مكاتبتهم وعظمت ثروتهم.

وهذه القصة التي سنسمعها عنهم تدلّ على أنهم كانوا يعتنون بشأن العدل ويحكمون في الخلق بما يعلمون من المصالح.

قال تعالى: **{وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ}** يعني هم من يقوموا بالحكم.

وهذه القصة سنقرأها من كلام الشيخ السعدي وهي من القصص المشهورة المعروفة، قال الشيخ:

"أي: واذكر هذين النبيين الكريمين **{دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ}** مثنياً مبعجلاً".

وهذا أمر غاية في الأهمية فإنّ العبد المؤمن يعلم أنّ الله خلق الخلق يحتاجون القدوات، يحتاجون من يتمثلون بهم، ونحن بفضل الله لسنا أمام أزمة في القدوات بل تفضّل الله على هذه الأمة خاصة أن أكثر لها القدوات، فهؤلاء الأنبياء وهؤلاء المرسلين قدواتهم، وأعظم قدوة لهم النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام والتابعين وتابعيهم إلى يوم القيامة بإحسان، كل هؤلاء تاريخ عظيم مليء بالقدوات، فلما نرّي أبناءنا نذكر هؤلاء.

إذن مطلوب منا أن نذكر هؤلاء ونكثر من ذكرهم، ونذكرهم مثنين مبعجلين لهم، ولما نذكرهم سنرى نفسنا أننا نذكر الله، أوّلاً لأنّ الله أمرنا أن نذكرهم، والأمر الثاني لأننا لما نذكرهم سنذكر نعم الله.

سنسمع في هذه السورة: **{ولقد أتينا موسى، ولقد أتينا إبراهيم}** سنسمع عن الله، والآن لما نقرأ القصة سنرى كيف تُحتم الآيات بأوصاف وأفعال الله عز وجل، فيكون ذكرنا للأنبياء ائتماراً بأمر الله وذكرنا الله.

قال: "إذ آتاهما الله العلم الواسع والحكم بين العباد"، وهاتان مسألتان متلازمتان، فإنّ العلم والحكمة التي من ورائها الحكم لا بد فيها من التلازم، لا يمكن أن يكون حكم بلا علم يأتي بالحكمة، الحكمة عبارة عن كلمة فيها مفهوميين: المفهوم الأول العلم والمفهوم الثاني الحكم، فمن حكم بعلم كان حكيماً، فالحكمة فيها العلم وفيها الحكم.

قال: "بدليل قوله: **{إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ}** أي: إذ تحاكم إليهما صاحب حرث، نفشت فيه غنم القوم الآخرين" ويشرح لنا ما معنى كلمة نفشت..

قال: "أي: رعت ليلاً فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرعه، فقضى فيه داود عليه السلام" بسبب أن الرعي ليلاً دخلت ليلاً هذا البستان الذي ليس موطناً للرعي إنّما موطن للحرث والزراعة.

والنفس أصلاً الانفلات للرعي ليلاً، فهذه غنم القوم الظاهر أنهم جماعة من الناس مشتركين، نفشت في الحرث يعني بدلاً من أن ترعى في المراعي رعت في بستان هذا الرجل فأكلت من أشجاره ورعت زرعه -أفسدته- وهو ليس موطناً للرعي كما هو متبيّن.



إذن هذان خصمان صاحب حرث وصاحب مواشي غنم، رعى بها ليلاً، لماذا ليلاً؟ لأنه لو رعى بها نهاراً كان الضمان على صاحب الزرع بحيث أنه يحرق زرعته ويدفعهم عنه لكن ليلاً كان الضمان على صاحب الغنم أن يسوسهم بعيداً عن الزرع، وربما يتيسر لنا نذكر هذا الحكم من كلام عمر رضي الله عنه.

قال: فقضى فيه داود عليه السلام بأن الغنم تكون لصاحب الحرث، نظراً إلى تفریط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب " المقصود أنه أقرب للصواب.

"بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث" صاحب المزرعة يعطون غنمهم له، لكن ليس على الإطلاق إنما ينتفع بذرّها وصوفها زمن.

"فينتفع بدها وصوفها ويقومون على بستان صاحب الحرث، حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، تراءدًا ورجع كلّ منهما بماله" وهكذا الطرفين خرجا من هذه المشكلة بجزء يناسبهم، وفي نفس الوقت عاد مال كل واحد إليهما، ولما نظر لهذا يتبين لنا أنّ الحكّمين لم يكونا عن وحي من الله إنّما كانا عن علم أوتيه داود وسليمان، يعني كان قضاؤهما بالاجتهاد، وهذا يبيّن جواز الاجتهاد للأنبياء، وقد كان قضاء داود حقاً لأنه سيأتينا بعد ذلك {وَكَلَّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا}، فكان قضاء داود حقّ لأنّ القاعدة أن عُزْم الإضرار على المتسببين في إهمال الغنم، والعُزْم هذا يُعطى مباشرة، لا يأخذ زمنًا إنما مباشرة نعطي صاحب الحق الحق، وفي الشريعة المحمدية ما يوافق هذا وكان حُكْم سليمان حقاً أيضاً لأنه مستند إلى إعطاء الحق لذويه مع رفق أصحاب الحقّ بخصومهم، كأنّ في ذلك الإصلاح، يعني ليس حُكْمًا فقط إنما حكم وإصلاح فيتصلحون.

وممكن أن لا يقبل الخصم هذا، ويكون حُكْم داود هو النافذ لكن في هذه الحالة التي نحن فيها رضي الخصمان بحُكْم سليمان لأنّ الخصمان الظاهر فيهم صفة الإنصاف وليس فيهم اعتساف؛ لأنه لو لم يرضيا كان الحُكْم هو حكم سليمان لأن الرفق ليس بواجب إنما الواجب قضاء كل صاحب حق حقه.

وفي قضية بين عمر رضي الله عنه ومحمد ابن مسلمة قضى عليه أن يمر الماء على أرضه إلى أرض الضحاك، وقال لمحمد ابن مسلمة: لم تمنع أخاك ما ينفعه وهو لك نافع؟! فقال محمد: لا والله -يعني لا أفعل-، فقال عمر: والله ليمرّن به ولو على بطنك!

وكان عمر رضي الله عنه يعلم أنهما من أهل الفضل وأنهما يرضيان لما عزم عليهما، يعني كان هذا من عمر عزم عليهما في الصلح وإن كان بهذا الأسلوب لكنه يعرف أنهم أهل فضل يتفضّل بعضهم على بعض فيكون هنا القضاء هنا بمعنى القضاء والإصلاح، ولذلك كان قضاء سليمان عليه السلام أرجح.

وهذه القصة تشبه قصة حصلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لكن لم يكن في الموقف أهل إنصاف إنما كانوا أهل اعتساف، هذه قصة بين الزبير وأنصاري، الماء كان يأتي من أرض الزبير، فقضى النبي صلى الله عليه وسلم في مسألة السقي أن يمسك الزبير الماء حتى يبلغ الكعبين ثم يفتحه لجاره، فلم يرض الأنصاري بحكم النبي صلى الله عليه وسلم، فقضى النبي صلى الله عليه وسلم بأن يمسك الزبير الماء حتى يبلغ للجدار ثم يرسل، وهذا كان حق الزبير، الماء نبعه من أرض الزبير والنبي أحب الإصلاح فقال له: إذا بلغ الماء كعبيك أرسله لجارك، فاعترض الأنصاري الذي حُكّم له، فلما كان من أهل الاعتساف أعاد النبي الحكم



وجعل الزبير يأخذ حقه كامل بأن يمسكه حتى يبلغ الجدار ثم يرسله إلى جاره، النبي صلى الله عليه وسلم بدأ بالأرفق، فلما لم يرضَ أحد الخصمين قضى بينهما بالفصل.

بدأ بالفضل فلما لم يقبلا عاد للفصل، في مقابل أن سليمان وداود بدأ بالفصل فلما حكم سليمان أتى بالفضل وكان قضاؤه أرجح.

إذن معنى **{ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ }** أن الله ألهمه وجهًا آخر في القضاء، وتأتي كلمة تفهيم (ففهمناها) فهذا دليل أن فهم سليمان كان أعمق وأرفق.

وهذه مسألة ككثير من المسائل التي فيها حكم يتجاوزها دليان فيُصار إلى الترجيح، وهذه المرجحات لا تنتهي، الذي يجعلنا نرجح هذا على هذا في الموقف يختلف عن ترجيح هذا الحكم على هذا الحكم في موقف، ومثل هذا لا يتكلم فيه إلا من كان عنده علم، أما الذي ليس عنده علم فليس له لا أن يحكم ولا أن ينتقد الأحكام، وأسأل الله عز وجل أن يرزقكم أن لا تتكلم إلا فيما يعنيننا، وأن نترك الكلام فيما لا يعنيننا؛ لأنّ كثير ما نتكلم في أمور لا نستطيع إدراكها.

وهنا يأتي سؤال: تجري الحكمة على لسان سليمان ولا تكون لداود، داود يحكم بحكم ويكون خيرًا منه حكم سليمان، مع أنّ حكمه صحيح، لا نقول أنه أخطأ، إنما سليمان أتى بالأرفق، فما هذا الوجه الذي نستفيدة من كون سليمان يأتي بالأرفق والأقرب؟

هذا والله أعلم يشبه موقف عمر من ابنه لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شجر في البوادي يشبه المؤمن، فما عرف الصحابة إلا أنّ ابن عمر عرف ولم يتكلم مستحيًا، فقال له عمر رضي الله عنه لو قلت كان لي بكذا وكذا، يعني أنه كان سيفرح فرحًا عظيمًا لو أنه أصاب الحكم، وسيكون فرحه في إصابة الجواب أكثر من فرحه لو أصاب هو عمر رضي الله عنه، فالذي يظهر والله أعلم أنّ المرء يفرح ويزداد سرورًا بإصابة أبنائه للحق، والله أعلم أنّ هذا أحد المصالح إدخال السرور على داود عليه السلام في كون أنّ ابنه وُفق للحق، خصوصًا أنّ ابنه هو الذي سيسوس بني إسرائيل بعده، وكما نعلم أن هموم الأنبياء إنّما في أحوال الناس وليس في أحوال أنفسهم.

تبين لنا أن حكم سليمان وحكم داود عليهما السلام صحيح، "ولهذا قال: **{ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ }** أي: فهمناه هذه القضية، ولا يدل ذلك، أن داود لم يفهمه الله في غيرها، ولهذا خصها بالذكر بدليل قوله: **{ وَكَلَّا }** من داود وسليمان **{ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا }** وهذا دليل على أن الحاكم قد يصيب الحق والصواب وقد يخطئ ذلك، وليس بمعلوم إذا أخطأ مع بذل اجتهاده". وفهمنا أنّ هذا ليس له علاقة بالوحي وأنّ الله عز وجل قد منّ عليه.

على كل حال نحتاج أن نعلم من هو داود وكيف أن الله آتاه الزبور كما في سورة النساء: **{ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا }**، وكيف أن سليمان **{ وَآتَيْنَاهُمَا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ }**، **{ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ }** كما سيأتينا أخبار عنهم صلى الله عليهم جميعًا وسلم.



قال: "ثم ذكر ما خصَّ به كلاً منهما" كلٌّ منهم سيكون له خصوصية بعد الخبر عن الحُكْم.

فقال: **{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ}** أتنا فعل سَخَّرْنَا، والتسخير هذا طبعاً بعدما أوتي النبوة، ومعناه أن هذه الجبال وهذه الطيور تسبِّح بتسبيحه.

"وذلك أنه كان من أعبد الناس وأكثرهم لله ذكراً وتسبيحاً وتمجيداً" وهذا يدعوننا لمراجعة نفسنا في ذكره سبحانه وتعالى وكيف أنّ على العبد أن يكون مُكثراً من ذكر الله بقلبه ولسانه، فيسبِّح ويكبر ويهلل ويذكر الله ولا يفتر من ذلك، خصوصاً أنّ في سورة الأنبياء خبر عن هؤلاء الملائكة الذين في السماء العظماء الذين لا يفتر عن التسبيح فكلما بذل الإنسان جهده في ذكر الله كلما كان أقرب لله وأقرب لصفة الأنبياء وأقرب لصفة الملائكة الكرام.

"وكان قد أعطاه الله من حسن الصوت ورقته ورخامته، ما لم يؤته أحداً من الخلق" وهذه صفة تخصّه ونعمة عظيمة ينتفع بها صاحب الصوت الجميل لذكر القرآن، وينتفع فيها بقراءة القرآن.

"فكان إذا سبَّح وأثنى على الله، جاوبته الجبال الصمّ والطيور البهيم، وهذا فضل الله عليه وإحسانه" إذن علمنا من هذا أنّ الله عز وجل سَخَّرَ لداود هذه الجبال وهذه الطيور تسخير متابعة وليس تسخير خدمة، بحيث أنه كان يسبِّح فتأوَّب، وتأوَّب بمعنى أنّها تردّ عليه، والتأوَّب بمعنى الترجيع، أتت من كلمة "أوب" يعني عود رجوع، إذا سبَّح داود بين الجبال سمع الجبال تسبِّح مثل تسبيحه.

وقد مر معنا أمس أنّ الجبل يسأل الجبل هل مرّ بك أحد يذكر الله؟ وهذه من الآثار التي تقوى بمثل هذه الأدلة، أن الجبال كانت تسمع صوت داود عليه السلام يسبِّح فتردّ على تسبيحه بتسبيحه، فيسمع داود عليه السلام الجبال تسبِّح الله. وهذا فيه من الأنس ما فيه وفيه من التثبيت ما فيه، ولما نتأمل هذا للعمّار وللحجاج وكيف أنهم لما يمرّون على الجبال والحجارة فيلبّون فتردّ هذه الجبال وهذه الحجارة على تلبّيتهم! وهذا من الغيب الذي نتيقن به، وفي حق داود كان هذا شهادة، يسبِّح فتردّ على تسبيحه.

ميزة عظيمة فيها من الأنس ما فيها، وفيها من التثبيت ما فيها، وليست الجبال فقط من تسبِّح مع داود إنما كانت الطيور تسبِّح مثل تسبيحه، وهذا يجعلنا على يقين أن كل المخلوقات العظيمة السماوات والأرض والجبال والطيور، الجوامد وذوات الأرواح كلها تسبِّح لله، علم من علم وجهل من جهل.

ولذا فيما نستقدم إن شاء الله من سور سنسمع كيف الطير صافات ويقبضن وكيف أنهم في هذه الحالة يسبحن الله، فكلما رأيت هذه الحال علمت أنهم في حال التسبيح.

هذا كان من ميزة داود عليه السلام أن الجبال يسبحن والطيور تسبِّح بتسبيحه، فكان كالمذكّر لهم لما يمرّ يسبِّح يردّوا على تسبيحه وهذه من نعماء الله عليه فإنه يؤجر على تسبيحه وعلى تسبيح كل من سبَّح بتسبيحه! سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

ثم حُتمت هذه الآية بـ **{وَكُنَّا فَاعِلِينَ}** يعني وكنا قادرين.



قال: "وهذا فضل الله عليه وإحسانه فلماذا قال: {وَكُنَّا فَاعِلِينَ} يعني لا تستبعد تسييح الطير والجبال معه، الله أعطاهما القوة أن تسيح والله أسمعته تسييحه، كنا فاعلين يعني كنا قادرين فلا تتعجب من إيتائه هذه النعماء.

ثم قال سبحانه وتعالى: {وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَكُمْ} قال الشيخ: "أي علم الله داود عليه السلام، صنعة الدروع، فهو أول من صنعها وعلمها وسرت صناعته إلى من بعده"

هذا امتنان من الله عز وجل بصنعة علمها داود فانتفع بها الناس، ولنعلم أن كل صاحب صنعة علمه الله، ما هي هذه الصنعة؟ صنعة الدروع والسرت وهي الحلقات الرقيقة التي تدخل بعضها في بعض فتكون أخف في اللبس وأحسن وقاية.

وهي لبوس بمعنى أن العرب كانت تقول هذه الكلمة لما يُلبس من لأمة الحرب من الحديد، الدروع تسمى لبوس وليست لباس، وقيل أن اللبوس في اللغة هو السلاح.

المقصود أن الله عز وجل علمه هذه الصنعة.

"فألان الله له الحديد، وعلمه كيف يسردها والفائدة فيها كبيرة، {لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ} أي: هي وقاية لكم وحفظ عند الحرب، واشتداد البأس".

لكن نستعجب هنا من الضمائر: لكم، لتحصنكم، من بأسكم، فهل أنتم شاكرون، وهذه والله أعلم موجّهة لكل الخلق بعد داود وخصوصًا قريش والعرب ومن كان يخاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم، فكأنه يقال علمه الله وانتفعتم أنتم، فما بكم تهملون شكر نعمة الله وتعبدون غير الله! وكل صنعة أنتم تصنعونها إنما علمها الله لأحد من خلقه، إذا نظرنا إلى صنعة السفن علمها الله لنوح، والدروع علمها الله داود، وغير ذلك كثير ذكر أو لم يُذكر، لكن القاعدة أن كل صنعة يعلم الله عز وجل الخلق كيف يصلون إليها، من أجل أن يصلوا في النهاية إلى شكر الله.

وهنا صنعة اللبوس من أجل الإحصان، الوقاية والحماية من بأسكم يعني من الحرب، من بأس بعضكم على بعض.

"{فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} نعمة الله عليكم، حيث أجراها على يد عبده داود" وهكذا يجري الله نعمه على يد الخلق.

"كما قال تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} هذا المقصد.

قال الشيخ: "يحتمل أن تعليم الله لداود صنعة الدروع وإلانتها أمر خارق للعادة، وأن يكون - كما قاله المفسرون -: إن الله ألان له الحديد، حتى كان يعمل كالعجين والطين، من دون إذابة له على النار.

ويحتمل أن تعليم الله له، على جاري العادة، وأن إلانة الحديد له، بما علمه الله من الأسباب المعروفة الآن، لإذابتها، وهذا هو الظاهر" كيف نفهم التعليم لداود عليه السلام؟ علمه الأسباب، قال: "وهذا هو الظاهر؛ لأن الله امتنّ بذلك على العباد وأمرهم بشكرها، ولولا أن صنعته من الأمور التي جعلها الله مقدورة للعباد، لم يمتنّ عليهم بذلك ويذكر فائدتها" هذه منة تعلمها داود عليه السلام وتعلمها الناس من ورائه.

"لأنّ الدروع التي صنع داود عليه السلام، متعدّرات أن يكون المراد أعيانها" ليس مقصود عين الذي صنعه داود هو الذي يلبسونه العرب بعد ذلك، لا يمكن أن يكون هذا إنما الله علمه الأسباب.



"وإنما المنة بالجنس" المنة بجنس الحديد.

"والاحتمال الذي ذكره المفسرون، لا دليل عليه إلا قوله: **{وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ}** وليس فيه أن الإلانة من دون سبب، والله أعلم بذلك" يعني يرد على قولهم أن الإلانة تدلّ على أن الله أعطاه ميزة لنبوته إنما الإلانة لها أسباب والله أعلم.

هذا في الخبر عن داود عليه السلام وما مُيّز به وما لهم من صلة به، فإنّ ما يلبسونه من دروع إنما كانت من صنعته، ثم أتى الخبر عن سليمان:

عطف على جملة **{وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ}** تلك خارقة للعادة وهذه خارقة للعادة. **{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ}** أي: سخّرتها **{عَاصِفَةً}** أي: سريعة في مرورها" وتسخير الريح أكيد أنه سيكون لأمر.

"**{تَجْرِي بِأَمْرِهِ}** حيث دبرت امتثلت أمره، غدوها شهر ورواحها شهر **{إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا}** وهي أرض الشام" فتسخير الريح يعني تسخيرها لما تصلح له، فقبل أنها تسير المراكب في البحر فتذهب سريعًا وتعيدها سريعًا، وهو كان عليه السلام ممن اعتنى بالجهاد في سبيل الله، فكانت هذه الريح تنقل البضائع والأسلحة ومواد الصناعة والجند، والذي يظهر إما أنها تدفع السفن سريعًا، وإما أنها تحمل هي بنفسها هؤلاء.

وعلى كل حال وُصفت مرة بأنها عاصفة يعني قوية ووصفت في ص أنها رُخاء حيث أصاب، ومن هنا نقول أنه ربما أتت أنها تسير الفلك، لأن كلمة رخاء بمعنى ليلة مناسبة لسير الفلك، فيأتون يقولون الليلة رخاء يعني الريح مناسبة لسير الفلك، فهذا يجعلنا نقول أنها تسير الفلك.

متى أرادها تسير بسرعة سارت، ومتى أرادها لينة سارت رخاء.

تجري هي بأمره على حسب قصده، وهذا ما يلائم هذه الغاية السامية وهي الدعوة إلى الله، وقد دعا سليمان الله عز وجل أن يهب له مئلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فهذا يشمل كل ما استقامت به أمور مملكته سواء كان سفر لمراكب أو نقل، وكما هو معلوم الأنبياء همهم نشر دين الحق في الأرض.

قال: **{وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ}** قد أحاط علمنا بجميع الأشياء، وعلمنا من داود وسليمان، ما أوصلناهما به إلى ما ذكرنا". **{وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ}** وصف الله عز وجل يشبه ما مضى لنا في قوله: **{وَكُنَّا فَاعِلِينَ}**، وهذه دلالة على عناية الله بسليمان وداود، أنه سبحانه وتعالى علم بجميع الأشياء وسخّر لهم هذه الأشياء وعلم من داود وسليمان مقصدهما وأتقنا لا يقضيان بالمملك بل يسخرانه من أجل نشر الحق والدين.

ثم أتى الخبر عن الشياطين وتسخيرهم لسليمان، وهذه كرامة من الكرامات وهو أنه سخر إليه من طوائف الجن والشياطين التي تأتي له بمعرفة أعمال عظيمة **{وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ}**.

قال: "وهذا أيضًا من خصائص سليمان عليه السلام، أن الله سخر له الشياطين والعفاريت، وسلطه على تسخيرهم في الأعمال، التي لا يقدر على كثير منها غيرهم".



فأصبح له سلطة عليهم، أعمال عظيمة من غوص البحار واستخراج اللؤلؤ أعمال أجملت وفُصّلت في سبأ {مَحَارِيبٌ وَمَتَائِلٌ وَجِفَانٌ كَأَجْوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ}، المقصود أن الله سَخَّرَ له ما لم يَسَخِّرْ لغيره وانتفع بهذا التسخير في شدّ مملكته والدعوة إلى دين الله.

قال: "فكان منهم من يغوص له في البحر، ويستخرج الدر، واللؤلؤ، وغير ذلك، ومنهم من يعمل له {مَحَارِيبٌ وَمَتَائِلٌ وَجِفَانٌ كَأَجْوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ} وسَخَّرَ طائفة منهم لبناء بيت المقدس، ومات، وهم على عمله، وبقوا بعده سنة، حتى علموا موته، كما سيأتي إن شاء الله تعالى".

وهذا دليل على أنهم لا يعلمون الغيب، وخبرهم بالتفصيل في سبأ فليُراجع هناك ويُفهم الدلالات العظيمة في تسخير الشياطين كانوا مسخرين لسليمان يسخرهم لمن شاء، وهنا لا بد أن ننبّه على تنبيه وهو أن هذا التسخير ليس لأحد بعد سليمان. والله يقول: {وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} بالنسبة لسليمان، "أي: لا يقدرّون على الامتناع منه وعصيانه، بل حفظهم الله له، بقوته وعزته، وسلطانه" الله بقدرته سَخَّرَهم لسليمان ومنعهم من أن يعصوه أو ينفلتوا منه وجعلهم يعملون بخفاء ولا يؤذون الناس، فسَخَّرَهم لسليمان وعَلَّمَ سليمان كيف يحكمهم ويستخدمهم ويطوِّعهم فكانوا لسليمان منقادين تمام الانقياد وقائمين بخدمته بدون أي عناء، والله عز وجل حال بينهم وبين الناس أن يؤذوا الناس.

ولما توفي سليمان عليه السلام لم يَسَخِّرْ الله الجنّ لغيره، هذا ما نريد أن نؤكد عليه، استجابة لدعوته التي مرت معنا أنه طلب من الله مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده، ومن الدلالة على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مُكِّن من الجنّي الذي كاد أن يُفسد صلاته وهمّ أن يربطه، مع مكانة النبي صلى الله عليه وسلم قال أنه ذكر دعوة سليمان فأطلقه، فجمع الله لنبيه بين التمكين من الجن وبين تحقيق رغبة سليمان، فتمكن منه وفي نفس الوقت لم يسخرهم أو لم يستعملهم النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى ذلك كل أحد يأتي يقول يخدمني الجن أو مسخّرين لي وهؤلاء جن صالحين ونحن نتوارثهم وعائلتنا كشافة وترى وتخدمها الجن نقول هذا لا يصح فإن هؤلاء الشياطين والجن لم يسخّروا لأحدٍ بعد سليمان، وكل أمر آخر فهذا وهم. لو شعروا بذلك وتيقنوا نقول هذا مكر من الجن يمكرون ببني آدم فيوصلونهم أن يشعروا أنّ لهم خدمة وبعد فترة من الزمن يطالبوهم بأن يخدموهم ويقعون في الشرك.

وقد ذكر أحد كبار العلماء في عصرنا موقف عاشه مع أحد دخل عليه الأمر بهذه الطريقة، هذا رجل يعرفه الشيخ بقي خمسة عشر عامًا والجن تخدمه في أن تقول له مكان الشيء الضائع في قريته ثم اتسع خبره في القرى حوله، بقي خمسة عشر عامًا وهو بهذه الحالة حتى تمكّنت سمعته ومن جهة أخرى تمكن الشعور بهذا التميّز، فبعد خمسة عشر عامًا قالوا له لا نعطيك ولما يأتيك السائل لا نقول لك إلا إذا عبدتنا! ومعناه أنهم يمكرون ويمكرون حتى يستولون، يمكرون كأنهم يخدمون هذا إذا صح أنهم يخدمون، يمكرون هذا المكر حتى إذا شعر الإنسان أنه متمكّن منهم أرغموه على أن يفعل لهم ما يريدون، وذاك الوقت يدخل الإنسان في أصعب الاختبارات في كونه يبيع الدنيا من أجل الآخرة!



نؤكد على أنفسنا مرة أخرى التسخير للجن والشياطين هذا ليس لأحد بعد سليمان عليه السلام، حتى النبي صلى الله عليه وسلم لما تمكّن من الشيطان الذي كاد يفسد صلاته أطلقه لأنه تذكر دعوة سليمان. إذن بهذا لا يمكن أن يكون، وما يحصل حولنا إما يكون وسواسًا إما يكون خدعة إما يكون مكرًا من هؤلاء الجن الذين يريدون أن يفسدوا على الناس دينهم، والوساوس ما أكثرها اليوم بسبب كثرة المعاصي حولنا وقلة ذكر الله. والحل هو التوبة من المعاصي وكثرة ذكر الله، أسأل الله عزّ وجلّ أن نكون من الذاكرين الشاكرين لنعمائه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

انتهى اللقاء بفضل الله..

